ثالثها ما يسره في النفوس والقلوب كيفية يجد من اللذة والحلاوة
عند سماعه ما لا يجده عند سماع غيره ومن ثم كان ان قاربه ربه
لا يمله بل كلما زاد تكريره زادت حلاوته وانفتحت طلاوته رابعها
ما فيه من الاحاطة بعلوم الاولين والآخرين ما فرطنا في الكتاب
من شيء ومن الاخبار بالمغيبات فما كان ويكون لن تفعلوا ولن تفعلوا
ولا يتمنونه ابدا فما فعل مثله مخلوق ولا تمنى الموت يهودي وهذا
ايضا من ابهر المعجزات قال بعض المحققين اعجازه من وجهين
اما لذاته من حيث لفظه ومعناه المخصوصان اذ تاليفه ليس
على هيئة ما يتعاطاه البشر اذ لا يصح ان يقال له رسالة ولا
خطابة ولا شعر ولا سجع وفنون كلام العرب لا يخرج عن ذلك
واما لصرف الناس عن معارضته والاعجاز في هذا ظاهر ايضا
اذا اعتبر وذلك انه ما من صناعة محمودة او مذمومة الا
وبينها وبين قوم مناسبة خفية واتفاق جلي لتوجه
ولذا تجد هذا يؤثر حرفة لانشراح صدره لها وذاك يكرهها
وينشرح لاخرى وهكذا فلما دعا الله اهل البطالة الذين
يهيمون في كل واد من المعاني بسلاطة لسانهم الى معارضة
القرآن فعجزوا عن الاتيان بمثله ولم يتصدوا للمعارضة
لم تخف على اولي الالباب ان صارفا الهيا صرفهم عن ذلك
واي اعجاز ابلغ من ذلك انتهى ملخصا وحاول بذلك توجيه
القول بالصرفة مع انه للنظام من المعتزلة لكن افسدوه
بان قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية دليل ظاهر
على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة
لاجتماعهم لانه حينئذ بمنزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى مما

تم

يحتفل بذكره هذا مع ان الاجماع منعقد على اضافة الاعجاز الى القرآن
والقول بالصرفة يلزمه اضافته الى الله لا الى القرآن وحينئذ
يلزمه زوال الاعجاز بزوال زمان التحدي وفيه خرق لاجماع الامة
ان معجزة الرسول العظمى باقية ولا معجزة له باقية اظهر من القرآن
ويلزم الصرف ايضا انه لا فضيلة للقرآن على غيره فان قلت
القول بعجزهم مع بقاء قدرتهم فيه الجمع بين النقيضين وهو محال
فان قلت معنى قدرتهم ان هممهم توجهت الى المحاكاة
لظنها القدرة عليها فعجزت وعلى القول لم يتوجهوا للمعارضة بالصرفة
اسهل لقطعهم من نفوسهم بعجزها وانه لا قدرة لها عليها البتة
فان قلت توجه الهمم اليها مع العجز عنها في نفس الامر لا يسمى
قدرة قلت ممنوع بل يسمى قدرة باعتبار العرف وقطع النظر
عن الغايات ولا شك ان اهل فن البلاغة لا يقطعون بسلب
القدرة عن المحاكاة ابتداء بل بعد الاختبار فتأمله لتعلم سقوط
ما قيل كيف يخاطبون بالتحدي مع القطع بعجزهم عنه ونظير ذلك
خطاب الله من علم عدم الايمان بالايمان كابي جهل وابي لهب ابي جهل
نظرا الى قدرتهم عليه باعتبار الظاهر واعراضا عن النظر للغايات
والعواقب ومن الفاسد ايضا قول فريق ضلال ان الكفار قادرون
على الاتيان بمثله وانما تاخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب
لو يعلمونه لوصلوا اليه به وآخرين ان العجز انما وقع من الموجودين
واما من بعدهم ففي قدرتهم الاتيان بمثله ومما يرد عليهم
ان جماعة ممن انتهت اليهم الرياسة في الفصاحة تعرضوا للمعارضة
كابن المقفع والمعري والمتنبي ونظرائهم فلم ياتوا الا بما تمجه الاسماع
وتنبو عنه الطباع وتأدب عليهم بالخزي والانقطاع وصيرهم

Copyright © King Saud University